

## القفز فوق المستحيل

### مفيد فوزى

ليس بالضرورة أن أكون فى وسامة  
آلن ديلون حتى أجتذب المرأة.  
وليس بالضرورة أن أملك جمال  
حنجرة شارل ازنافور ولا عضلات  
رشدى أباظة حتى اجتذب المرأة..  
ولكن أن يكون لى قيمة أجتذب بها  
المجتمع بأسره ومن بينه المرأة.

تبدأ حكاية الطفل الصامت دائماً.. الانطوائى انطوائية مفزعة.. المنعزل عن أقرانه من أطفال الحى.. مفيد فوزى.. أصبح فيما بعد ملك الكلمة المرثية والمقروءة والمسموعة وصاروخ القذائف الموجهة نحو تحقيق الهدف.. هذا الطفل الصامت أصبح يتحدث إلى ملايين الناس والمحاور والمناور والراصد لكل هموم المواطن المصرى.

وكانت البداية.. بنى سويف شارع مقبل رقم ١١ من سن العاشرة عندما أسرع الطفل الصغير مفيد وراء الصبية الحلوة فائزة جارتته.. كانت دقات قلبه الصغير تهفو إليها وتميل بشدة نحوها، كانت دقات قلبه تسبق خطواته تعلن قدومه وبابتسامة واسعة على شفثيه تحوى كل سعادة الدنيا وبتلقائية طفولية أقبل على الصبية.. مد يده نحو لعبتها.. تراجعته الطفلة إلى الورا.. نظرت إليه.. استدارت للإسراع بالفرار وعلى ملامحها ارتسمت علامات دهشة واستغراب. ولم يجد الطفل الصغير تفسيراً لنظراتها ولم يع عقله ما ترمى إليه... أسرع الصغيرة الخطى نحو باب منزلها.. أسرع مفيد وراءها يريد اللعب مع صديقته الجميلة بلعبتها.. مدت يديها الصغيرتين تدق بهما بعنف على الباب منزلها تستغيث بأهلها من خطر قادم.. فتح الباب.. دلفت الصبية داخل دارها واختفت فى جوفه.. أغلقت الباب وراءها بشدة فى ذات الوقت الذى امتدت فيه يدي الصبى إلى الطفلة محاولاً الإمساك بها أو لمسها.. وفى لحظة من الزمن أغلق باب منزلها على إحدى يديه فجرح أصبعه جرحاً كبيراً.. سألت الدماء غزيرة تغطى ثوبه وتمحو معها أى أثر للسعادة داخل نفسه.. نسى الطفل آلامه الشديدة.. والدماء التى

تغطي يديه وملابسه.. ولم ينس أبداً حبيبته الصغيرة التي فزعت منه.. لم تجد طفلاً جميلاً وسيماً.. ولم لا وقد أصر والده على أن يكون حليق الشعر «على الزيرو».. فقد كان الحليق دليل الرجولة والحزم والصلابة في نظر والده.

لم يترك هذا الحادث جرحاً فقط في أصبعه.. بل ترك جرحاً عميقاً لم يندمل داخل النفس انطوى بين طيات الذكريات الأليمة.. ازدادت انطوائية مفيد.. زادت مساحة التأمل بداخله. نظر إلى نفسه.. وقف أمامها.. قرر أن يكون كياناً مميزاً مختلفاً عن بقية أقرانه.. لن يكون زبياً واحداً ولوناً واحداً مثل ثوب شقيقه.. لن يكون نسخة مشوهة من أحد.. ولم لا وداخل النفس الكثير والكثير..

اعتراضات.. ورفض.. تأملات.. كبر الصبى.. وانطلقت التأملات من داخل صدره إلى حيز أرحب تمت ترجمتها إلى حروف وكلمات وكانت مجلة «شمس الفكر» أول مجلة حائط له بمدرسته الثانوي ببلدته بنى سويف.. طرح فيها أفكاره ومعتقداته.. أصبحت الكلمة هي ملاذه للتعبير عن عذابات ومكنونات النفس والعقل والقلب.. لناصرية الكلمة كان امتلاكه لناصرتها دافعاً قوياً.. جعل صديق عمره يلجأ إليه يستعين به وللعجب في خطابات غرامية إلى حبيبته فاييزة سليم عندما يقع خطأ أو مشكلة تتطلب اعتذاره لها.

أوقعه قدره أن يكون رسول المحبة بين صديقه وبين الفتاة الوحيدة الذى ظل قلبه متعلق بها منذ الطفولة.. اختاره صديقه الذى أصبح بعد ذلك رئيساً للنيابة بالقاهرة أن يكتب لحبيبتهما المشتركة فاييزة وهو لا

يعلم ما يتكبده المحب العاشق الولهان.. مفيد.. من جراء ذلك.. وإن كانت كتاباته لهذه الخطابات قد أزاحت بعض الهم عن كاهله المثقل بالصمت بأن يبوح ولو بشكل غير مباشر بما يطويه بين جنباته من حب مشتعل يملأ عليه دنياه المحدودة.

فى كل خطاب لحبيبته كان يختمه وينهيه باسم صديقه قائلاً «فى حياتى حياتك.. وفى ممتى ممتك».

ومرت الأيام. وقرر أحمد سليم والد فائزة وهو أحد مشايخ بنى سويى الانتقال إلى مكان آخر..

وقف مفيد أمام القطار مذهولاً.. وهو يرى هذا الغول المخيف يخطف قطعة من نفسه وروحه وجسده.. إلى أين؟! لا يعلم.. ضاقت أنفاسه المتلاحقة عندما شاهد فائزة داخل مقصورة القطار.. لم يملك المحب شيئاً أمام عذابات الموقف سوى يديه يلوح بهم مودعاً إياها.. اصطدمت عيننا مفيد بعينيها المتجمدتين الباردتين.. كانتا تحملان نظرة بلا معنى خالية من الإحساس بحجم الفراق المشتعل حول مفيد.. سقطت يد مفيد إلى جواره تحولت إلى قطعة من الثلج.. ماتت الحياة بها وتسلمت من الجسد المتجمد كتمثال لم يجف بعد..

وظل حب فائزة قابلاً داخل القلب والعقل وتنطوى الأيام وتتوالى الخبرات فى حياة مفيد وتتراكم الأحداث ويظل ذلك الأمر سرّاً من الأسرار محفور فى الذاكرة لا ينسى.

وتبدأ فى حياة مفيد صفحات جديدة يصاحبه فيها إحساس بالتوتر النبيل.. ذلك الشعور الذى يدفع المرء إلى الرغبة الحارقة فى التميز.. ولم

ينس مفيد أبدأ.. أنه الطفل الحليق ذو الوجه الخالى من الجمال الذى لم يجد طفلا يلعب معه فى طفولته.

ويحصل مفيد على الثانوية العامة ويلتحق بكلية الآداب قسم صحافة وقد لازمه شعور دائم بالدهشة أمام المرأة حتى بعد أن أصبحت زميلة له يراها ويتحدث إليها كل يوم.. ظل إحساسه بالدهشة يلازمه.. وهناك وسط جموع الطلاب والطالبات بداخل كلية الآداب فى صفوف متراسة جلست أمامه فتاة وقعت عيناه على شعرها الطويل الأشقر كشعر الخيل. مد يده أمسك به يتحسس.. يتلمسه.. نسى كل ما حوله.. الأستاذ والطلاب وإذا بزميله الذى يجلس بجواره «محيى حقى» يدفعه بكلتا يديه.. صائحا فيه كفى.. أتريد أن ترفض من الجامعة.. ذلك الزميل الذى أصبح مستشار مصر الإعلامى فى أمريكا فى فترة من الفترات فيما بعد..

وترك مفيد شعر الفتاة وبداخله شعور بالتخلى عن المجد والقمة ويصبح مفيد بعد عدة سنوات محاضراً.. يلقي على طلاب كلية الإعلام دروساً فى الصحافة.. وفى إحدى هذه المحاضرات كانت المناقشة تدور حول كيفية صياغة الخبر وأنواع العناوين وكيف يتم وضعها.. أشار مفيد فوزى بإحدى يديه إلى طالبة تجلس فى ركن من أركان حجرة الدرس وياللقدر كانت فايضة سليم.. حبه الأول وسر عذابه.. وهنا يضحك من أعماقه.. فهى مازالت تحمل نفس النظرة الباردة.. لكنها لم تعرفه.. ويتعلم الدرس.. ويقول مردداً لنفسه، ليس بالضرورة أن أكون فى وسامة آلن ديلون حتى أجتذب المرأة.. وليس بالضرورة أن املك حنجرة

شارل ازنافور حتى اجتذب المرأة.. وليس بالضرورة أيضاً أن يكون لى  
عضلات رشدى أباطة وشعر كمال الشناوى.. ولكن أن يكون لى قيمة  
أجذب بها المجتمع بأسره ومن بينه المرأة..  
ويقفز مفيد فوق الأسوار.. ويتخطى الصعاب وينتصر فى معركة  
حياته على ذلك الصبى الأبكى.. الصامت دائماً.

□□□